﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

ازْديادُ الطُّغْيانِ زَهْوًا بما عليْه مِـن حـالٍ، مـحـضُ غـرورٍ وسوءِ مآلٍ

لمّا ذكَر اللّهُ سبحانه عَن صاحِبِ الجنَّتين أنَّه قدِ اسْتَوْلى عليه مِن طولِ الأمل، وشِدَّة الحِرْصِ عَلى الدُّنيا والتَّمادي في الغَفْلَةِ ما جَعله يطَّرِحُ النَّظرَ في العواقبِ، حتّى زعَم أنَّ جنَّته لن تبيدَ؛ بيَّنَ أنَّ طُغْيانَهُ ازدادَ، فزَعَم أنْ لا بَعْثَ ولا جزاءَ، استلذاذًا مِنْهُ بما هو فيهِ، واعتمادًا عليهِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَآئِمَةً﴾: (قوم) تدلُّ اشْتِقاقاتُها عَلى انْتِصابِ شَيْءٍ إلى أَعْلى عَلى وجْه الثُّبوتِ، ومِنْهُ قامَةُ الإنسانِ وقيامُهُ[2] والإقامَةُ في المكانِ[3]، ومِنْهُ سُمّيَ أداءُ الصَّلاةِ إقامةً؛ لما في أدائِها مِنْ إظْهارِها والدّوامِ عليْها[4] وقيامُ السّاعةِ: ظُهورُها وثبوتُها، وقولُ اللّه تعالى حكايةً عَنْ صاحبِ الجنَّتينِ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، أَيْ: ما أظنُّها كائنةً ثابتةً.

2) ﴿رُّدِدتُّ﴾: (ردد) تدورُ تصريفاتُهما على رَجْعِ الشَّيءِ[5]، ومِنْهُ الارْتِدادُ: الرُّجوعُ، وسُمّيَتِ الرِّدَّةُ بذَلكَ؛ لأنَّها رجوعٌ إلى الكُفْرِ[6]، وقولُ اللّه تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ معناهُ: أُرْجِعْتُ إلى رَبّي للحِسابِ والجزاءِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 59.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قوم).
(3) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/ 85.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ردّ).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ردد).

3) ﴿مُنقَلَبًا﴾: (قلب) تدلُّ على معنَيين كُلّيَّين؛ خالصُ شيءٍ وشريفُهُ، وردُّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ[1] يُقال: قَلَبَ الشيءَ، وقَلَّبه؛ إذا حَوَّله ظَهْراً لبَطْنٍ[2]، وقلَّبَ الأُمورَ: بحثَها ونظرَ في عواقبها، وتَقَلَّبَ في الأُمور وفي البِلاد: تصرَّف فيها كَيفَ شاءَ[3]، والانقلابُ: الانصرافُ، ومِنْهُ قولُ الله تعالى: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾؛ فإنَّ معناهُ: مُنْصَرَفًا ومردًّا ومرجعًا.

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

اغْتِقادُ العَبْدِ كَرامَتَهُ بكثرة المالِ عِنْدَ ذي الجلالة، باطلٌ لا محالةَ

بَعْدَ أن أخبرَ اللّهُ تعالى عَنْ زعمِ الرَّجُلِ عدمَ فناءِ جنَّتِهِ؛ أخبرَ عنهُ أنَّهُ قال: ما أَعْتَقِدُ أنَّ القيامَةَ واقعةٌ، وإن فُرِضَ وقوعُها - كما قالَ لَهُ صاحبُهُ المُؤْمِنُ - ورُجعتُ إلى ربّي؛ لأَجِدَنَّ عندَهُ أفضلَ من هذه الحَديقَةِ مَرْجِعًا ومرَدًّا؛ لكَرامَتي ومَنْزِلَتي عِنْدَهُ؛ إذْ لَوْلا ذلكَ ما أَكْرَمَني في الدُّنيا بهَذا المالِ الوفيرِ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾:

بيانُ تَتِمَّةِ مَقالَةِ الرَّجُلِ الكافِرِ؛ لاستكمالِ مشاهدِ القصّةِ

الواوُ في ﴿وَمَآ﴾ مِنْ قولِ اللّه ﷻ حكايةً عنِ الرَّجُلِ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ عاطِفَةٌ الجُملةَ بعدَها على قولِه قَبْلُ: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، فالجملَةُ داخلةٌ في حيِّزِ القولِ كسابِقَتِها، وبَيْنَ الجُملَتَيْنِ توسُّطُ بين الكمالَيْنِ؛ لاشتراكِهما في الخَبَريَّةِ، وبينَهما تناسُبٌ في اللَّفْظِ والمَعْنى، فأمّا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فلاتِّفاقِهما في المُسْنَدِ والمسنَدِ إليه ﴿أَظُنُّ﴾، وأمّا مِنْ جِهَةِ المَعْنى فلأنَّهما تُخْبرانِ عمّا يعتقِدُهُ هذا الرَّجُلُ مِنْ أحوالِ الدّنيا والآخرَةِ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قلب).
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (قلب).
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (قلب).
(4) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 298.

سِرُّ إيثارِ التَّعْبيرِ بـ(ما) النّافيَةِ:

المُبالَغَةُ في قالَةِ السّوءِ؛ إمعانٌ من صاحبها في الانْحِرافِ

في إيثارِ النَّفْيِ بـ(ما) في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ دلالَةٌ عَلى صُدورِ هذه المَقالَةِ مِنْهُ عَلى وجْه التَّأكيدِ[1]؛ إمعانًا مِنْهُ في الضَّلال والشِّرْك، وذلكَ لأنَّ في (ما) مَعْنى التَّأكيد، كَما قالَ سيبَوَيْهِ: "وإذا قالَ: (لقَدْ فعل)؛ فإنَّ نَفْيَهُ: (ما فعل)؛ لأنَّه كأنَّه قالَ: (واللّه لَقَدْ فعل)، فقالَ: (واللّه ما فعل)"[2]، فهيَ آكَدُ في النَّفْيِ مِنْ (لا)[3].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿أَظُنُّ﴾:

تَـكَـرُّرُ الـظَّـنِّ، يُـصَـيِّرُهُ اعْتِقادًا راسِخًا

جاءَ التَّعْبيرُ عَنِ الظَّنِّ بالفِعْلِ المُضارِعِ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾؛ للإشْعارِ بتَكَرُّر هذا الظَّنِّ مِنْهُ، وأنَّه ليسَ ظنًّا عَرَضَ لَهُ مرَّةً، بلِ اسْتَمَرَّ معَهُ حتّى صارَ بمَنْزِلَةِ الاعْتِقادِ الرّاسخِ.

فائدة التَّعْبير بالمفْعولِ به ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾:

تَـعْـظـيـمُ يَـوْمِ الـقِـيـامَـةِ، وتَفْخيمُ شَأْنِهِ، مقصدٌ هـامٌّ في سياق الآية

﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ في جملة: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، هي ساعَةُ الحسابِ والجزاءِ، الكائِنَةُ يومَ القيامَةِ، وإذا وردَ إطلاقُ السّاعَةِ في القرآنِ؛ فالمرادُ: ساعةُ الحسابِ والجزاءِ، والسِّرُّ في ذلك: الإيماءُ إلى عظَمَتِها، حتّى كأنَّه ليسَ بحَقيقٍ أن يُسمّى ساعةً إلّا هيَ[4].

دلالةُ التّعبيرِ بالمفعول الثّاني اسمَ فاعلٍ ﴿قَآئِمَةً﴾:

كثرةُ المال تؤدّي إلى الطّغيان في التّكذيب، بنفي كينونةِ السّاعةِ

التّعبيرُ بالمفعول به الثّاني اسمَ فاعلٍ ﴿قَآئِمَةً﴾، تأكيدٌ لعدم قيامِها في ظنّه، تناسبًا مع ظنّه الخلودَ في الدّنيا لكثرة ماله، ممّا أعماه عنِ الحقّ ومشاهدتِه، ويفوتُ التّأكيدُ لو قيل: تقومُ، فهو باسم الفاعل ينفي كينونتَها أصلًا، لذا يُبيّن المفسّرون معنى ﴿قَآئِمَةً﴾ بـ(كائنة).

(1) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4530.
(2) سيبويه، الكتاب: 3/ 117.
(3) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 569.
(4) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4530.

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾:

بَيانُ عَقيدَةِ الرَّجُلِ الكافِرِ في أَمرِ الآخِرَةِ، وتوهُّمِه حسنَ المآلِ

الواوُ في ﴿وَلَئِن﴾ مِنْ قولِ اللهِ سُبْحانَهُ حكايةً عنِ الرَّجُلِ: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ عاطِفَةُ الجُملةَ بعدَها على قولِه قَبْلُ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، فهذه الجملةُ داخلةٌ في جملةِ القولِ كسابِقَتِها، وبَيْنَ الجُملَتَيْنِ توسُّطٌ بين الكمالَيْنِ؛ لاشتراكِهما في كونهما من مقول القول، فأمّا كونُ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ جملةً خبريَّةً؛ فظاهِرٌ، وأمّا كونُ ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ جملةً خبريَّةً؛ فلأنَّ التَّحقيقَ في جملةِ الشَّرْطِ أنَّها بحسبِ جوابِها، فإن كانَ جوابُها خبرًا؛ كانَتْ جملةً خبريَّةً، كما في هذه الآيَةِ، ثُمَّ إنَّ بينَ الجملَتَيْنِ تناسُبًا في اللَّفْظِ والمَعْنى، فأمّا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ؛ فلاشْتِراكِهما في المُسْنَدِ إِلَيْهِ، وأَمّا مِنْ جِهَةِ المَعْنى؛ فلأنَّهما تُخْبِرانِ عن معتقَدِ الرَّجُلِ في أحوالِ الآخِرَةِ.

غَرَضُ الإِخْبارِ بـ ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾:

مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الكُفْرِ التَّهَكُّمُ والسُّخْرِيةُ بأَهْلِ الإيمانِ

الجُملةُ الخبريَّةُ: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ خرجَتْ عن أَصْلِ دِلالَتِها إلى مَعنى التَّهكُّمِ؛ وذلك لأنَّ صاحبَ الجَنَّتَيْنِ اعتقد دوامَ جنَّتِه بقولِه: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾، ثُمَّ انتقلَ إلى نَفْيِ قيامِ السّاعَةِ، وليسَ ثَمَّتَ تلازُمٌ بينَ الاعْتِقادَيْنِ، إلّا أنَّه أرادَ التَّوَرُّكَ عَلى صاحبِه المُؤْمِنِ تَخْطِئَةً له، ولذا جاءَت جُملَةُ: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، مِنْ بابِ التَّهكُّمِ بِهِ، والقرينةُ على إفادةِ التَّهَكُّمِ، قولُهُ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، فهو نظيرُ قولِ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْميِّ لخَبّابِ بنِ الأَرَتِّ ﷺ: (لَيَكونَنَّ لي مالٌ هُنالِكَ، فأَقْضيكَ دَيْنَكَ مِنْهُ)[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 321.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بجُملَةِ القَسَمِ في ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾:

بُلوغُ الرَّجُلِ الكافِرِ الغايَةَ في الغُرورِ، تعبيرٌ عن سوءِ المصيرِ

اللّامُ في ﴿وَلَئِن﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، لامٌ موطِّئةٌ للقسَم، واللّامُ في ﴿لَأَجِدَنَّ﴾ واقعةٌ في جوابِ القسَم، وقد أُكِّدتِ الجملَةُ بالقسَم وبنون التَّوكيدِ في الجواب، وهو بهذا يقيسُ حالًا مستقبَلَةً على حالٍ حاضرَةٍ، حتّى كأنَّ جنَّةَ الدُّنيا ممتدَّةٌ إلى الدّار الآخرة، بل تفوقُها، وهذا مُنْتَهى درجاتِ الغُرورِ[1]، وفي هذا التَّأكيدِ أيضًا تقويةٌ لتَهَكُّمِه بصاحبِه المؤمنِ[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المَبْنيّ للمَفْعولِ في ﴿رُّدِدتُّ﴾:

استِمرارُ الرَّجُلِ الكافِرِ في الاسْتِهْزاءِ بصاحِبِه المؤْمِنِ

في بناءِ الفِعْلِ ﴿رُّدِدتُّ﴾ للمَفْعولِ مِنْ قولِ الله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ إبهامٌ للرّادِّ، والمَعنى: لَئِنْ ردَّني رادٌّ[3]، فعدلَ عنِ التَّعبير بـ (لئن ردَّني ربّي إليه)؛ إشعارًا بعدمِ إيمانِه بهذا الفَرْضِ الذي فرضَهُ، وأنَّ مقالَتَهُ هذه صادرةٌ على وجْهِ التَّهَكُّمِ والاستهزاءِ بصاحبه المؤمنِ فحسبُ.

دلالةُ التّعبير بالماضي وإيثارِه على المضارع في ﴿رُّدِدتُّ﴾:

السّياقُ هنا للمضارعِ لا للماضي، لكنّه عبّرَ بالماضي زيادةً في التّهكّم بمُجاراة الرّجلِ في القناعة بالرّدِّ، كأنّه مُتحقّقٌ بالإيمان به، وفيه إمعانٌ في الاستهزاءِ.

سرُّ القيْدِ بالمجرور في ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾:

الإمعانُ في الاستهزاء، يوردُ الشّكَّ إيرادَ اليقين

سِرُّ التّقْييدِ بالمجرورِ في حكايةِ معنى كلامِه، إظهارُ ثقتِه فيما لديه، واغتراره بطول الأمل، لما الْتَمَسه من إمداد الله تعالى له من التّوسعةِ عليه في الدّنيا، ويقينًا منه بأنّ التّوسِعةَ في الدّنيا دليلٌ على حبِّ ربِّه له، وأنّى له ذلك؟.

(1) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4530.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 321.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 60.

إيثارُ التَّعْبيرِ بالرُّبوبيَّةِ:

مِن آثارِ اسْمِ الرَّبِّ عُمومُ إحسانِه ودَوامُهُ

في إيثار التَّعبيرِ باسْمِ اللهِ الرَّبِّ في قولِه: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ مناسبَةٌ لذِكْرِ السَّعَةِ والنَّعيمِ المنتظَرِ في الآخرةِ، وذلك لأنَّ اسمَ (الرَّبِّ) متضمِّنٌ معانيَ كثيرةً، مِنْها: الإحسانُ، فكأنَّ المعنى: الذي أحسَنَ إليَّ في هذه الدّارِ الدُّنْيا بإعطائِه لي هذه الجنَّةَ؛ سَيُعْطيني في الآخِرَةِ أَفْضَلَ منها؛ لكرامَتي عليْهِ[1].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ المؤَكَّدِ ﴿لَأَجِدَنَّ﴾:

زَعْمُ الكافِرِ وُجْدانَهُ عَظيمَ الخَيْرِ، ووافِرَهُ في الآخِرَةِ

عُبِّرَ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿لَأَجِدَنَّ﴾ في جملةِ الجَوابِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾؛ للدّلالَةِ عَلى وفْرَةِ الخَيْرِ الذي يَزْعُمُ وُجدانَهُ في الآخرة، بحيثُ سَيكونُ خَيْرًا متجدِّدًا مُسْتَمِرًّا لا انقطاعَ فيه؛ إذْ كُلَّما تجدَّدَ لَهُ خَيْرٌ؛ تَجَدَّد له وُجْدانُه.

الغَرَضُ مِنْ تنْكيرِ ﴿خَيْرًا﴾ ومجيئِه على التّفضيل:

تَعْظيمُ الخَيْرِ المُنْتَظَرِ وتَكْثيرُهُ، من مظاهرِ الغُرور

نُكِّر لفظُ ﴿خَيْرًا﴾ مِنْ قول اللهِ سبحانه حكايةً عن صاحبِ الجَنَّتَيْنِ: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ تعظيمًا وتكثيرًا للخيرِ المتوقَّعِ حُصولُهُ لَهُ في الآخِرَةِ، فهو خيرٌ عظيمُ القَدْرِ، كثيرُ العَدَدِ، وقدْ جاءَ على صيغةِ التَّفضيلِ إمعانًا في ثقتِه بالعطاءِ الأكثرِ في الآخرةِ، بناءً على أنّ ما أُعطيَهُ في الدّنيا كان دليلَ مَرضاةِ ربِّه عنه.

الغرضُ منَ التَّقييد بالجارّ والمجرورِ ﴿مِّنْهَا﴾:

التَّقْييدُ بالمجرورِ لُزومُ التّعبيرِ بأفعلِ التَّفضيلِ، زيادةً في إظهارِ اليقينِ بالعطاءِ الأُخرويِّ، بناءً على العطاءِ الدّنيويِّ زيادةً في الغفلةِ.

التَّفَنُّنُ في اللَّفْظِ مَعَ اتِّحادِ المَعْنى وتَكامُلِهِ، من فصيحِ البيانِ

تَنَوُّعُ القِراءاتِ في ﴿مِّنْهَا﴾:

قرأ نافِعٌ وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وأبو جَعْفَرٍ: ﴿مِّنْهُمَا﴾ بالتَّثنيةِ،

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن الكريم: 10/ 404، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 60.

وقرأَ باقي العشَرةِ: ﴿مِّنْهَا﴾[1]، فأمّا قراءةُ التَّثْنيَةِ ففيها رُجوعٌ إلى أوَّلِ الكلامِ في قَوْلِه: ﴿۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: 32]، وأمّا الإفرادُ فجَرْيًا عَلى قولِه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾؛ تفنُّنًا في حِكايَةِ كَلامِه مرَّةً بالتَّثْنيَةِ وأُخْرى بالإفْرادِ[2].

تَوْجيهُ المُتشابِهِ اللَّفْظيِّ، بين آيتَي الكهف (36) وفصّلت (50):

دِقَّـــةُ الـبَـيـانِ القُرْآنيِّ في انْتِقاءِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لسياقاتِها

جملة: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، وجملة: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: 50]، والآيتانِ مُتَّحِدتانِ في الغايَةِ؛ إذْ كلٌّ مِنْهُما في وصْفِ حالِ الكافِرِ المُنْكِرِ للبَعْثِ والجَزاءِ؛ ولذا تقدَّمَ كلَّ واحدةٍ مِنْهُما قولُهُ: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، إلّا أنَّ آية الكهْفِ أَقْوى في بيانِ بُعْدِ الكافرِ الذي ضُرِبَ به المَثَلُ عَنْ حالِ الإيمانِ، فجاءَت فيها جملة: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، وجملة: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، بخلافِ ما في سورَةِ فصّلت؛ فإنَّها صُدِّرَت بما يَصْلُحُ لاتِّصافِ الكافرِ والمؤمِنِ بِه، وهوَ قولُه: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: 49]، فلمّا افْتَرَقَتِ الآيتانِ فيما تقدَّم؛ ناسَبَ آيةَ الكَهْفِ قولُه: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾؛ لما يومئُ إليه لَفْظُ الرَّدِّ ﴿رُّدِدتُّ﴾ مِنَ القَهْرِ والتَّعْنيفِ غالبًا بحَسَبِ الاسْتِعْمالِ لا بحَسَبِ الوَضْعِ، بخِلافِ لَفْظِ الرُّجوعِ ﴿رُّجِعْتُ﴾ [فصلت: 50]؛ فإنَّهُ لا يَدُلُّ على القَهْرِ والتَّعنيفِ الذي يَدُلُّ عليه لَفْظُ الرَّدِّ[3].

---

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 311، وقال الداني: "وفي الكهف في مصاحف أهل المدينة ومكة والشام: ﴿خَيْرًا مِّنْهُمَا مُنقَلَبًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف: 35] بزيادة ميم بعد الهاء على التثنية، وفي سائر مصاحف أهل العراق ﴿مِّنْهَا﴾ ميم على التوحيد"، يُنظر: الداني، المقنع، ص: 108.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 15/ 321.

(3) ابن الزبير الغرناطيّ، ملاك التأويل: 2/ 318 - 319.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السّاعَةُ والقيامَةُ:

السّاعَةُ والقيامَةُ مُتَّحِدانِ باعْتِبارِ الماهيَّةِ، مُخْتَلِفانِ باعْتِبارِ الأَوْصافِ

لِيَوْمِ البَعْثِ والجَزاءِ أسماءٌ كثيرةٌ، وذلك مُشْعِرٌ بأهَمِّيَّتِها وعَظَمَتِها؛ لأنَّ كَثْرَةَ الأسماءِ دليلٌ عَلى عظَمَةِ المُسَمّى، ومِنْ ذلكَ: السّاعَةُ والقيامَةُ، وهُما مِن جِهَةِ المَدْلولِ واحدٌ، ولكِنَّ الاخْتِلافَ بَيْنَهُما مِنْ حيثُ الصِّفاتُ والأَحْوالُ، فأمّا لفظُ السّاعةِ مرادًا به يومُ القيامة فقد ورَدَ في آياتٍ كثيرَةٍ؛ كقوله تَعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: 31]، وقولِه سُبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: 85]، وقولِه ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: 46]، وفي إطلاقِ لَفْظِ السّاعَةِ عَلى يوم القيامة وجوهٌ؛ مِنْها: قُرْبُ وقوعِها، أو سُرْعَةُ مَجيئِها، حتّى كأَنَّ الوَقْتَ الذي بينَها وبينَ القيامَةِ لَم يَسْتَغْرِقْ إلّا هَذا المقدارَ اليَسير مِن الزَّمن، أو لسُرْعَةِ انْقِضاءِ الحِسابِ فيها[1].

وأمّا القيامَةُ؛ فقد ورَدَ ذكرُها مرارًا في القُرآن الكريم، وفي لفظ القيامَةِ إشارةٌ إلى قيام النّاسِ المشارِ إليه في قولِ اللّه ﷻ: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفّفين: 5 - 6]، وأصلُ القيامَةِ في اللُّغَةِ: القيامُ دَفْعَةً واحدةً، وسمّيَ يومُ البعثِ يومَ القيامَةِ؛ لأنَّ النّاسَ يقومونَ مِنْ قبورِهم للحساب، كما قال اللّهُ سُبحانَهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفّفين: 6]، ولأنَّهُ يومٌ تُقامُ فيه الأَشْهادُ، كما في قولِ اللّه تَعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: 51]، ولأنَّهُ يومٌ يُقامُ فيه العَدْلُ، كما قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: 47][2].

(1) محمّد محمَّد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 406 - 407.
(2) ابن عثيمين، شرح الأربعين النَّووية، ص: 356.

فتبيَّنَ مِمّا تقدَّمَ أنَّ المرادَ بالسّاعةِ والقيامَةِ واحدٌ وهو يومُ البَعْثِ والجزاءِ، وأنَّ الاختلافَ بَيْنَهُما إنَّما هوَ في دلالة كلٍّ اسمٍ على وصفٍ مِنْ أَوْصافِ ذَلِكَ اليومِ، أو مَرْحَلَةٍ مِن مَراحِلِه، أو مَوْقِفٍ مِن مواقِفِهِ[1].

(1) محمّد محمَّد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 402.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»